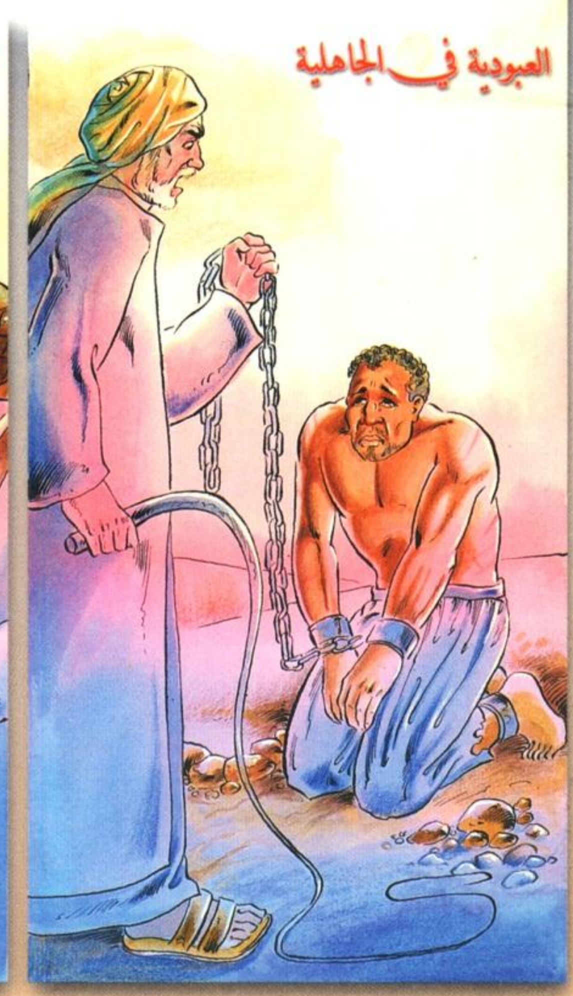
فضيلة العلامة الكبير
محمد أمين شيخو
قدس الله سره

البحوث المجيدة «٣»

الغربُ حرَّرَ الإنسانَ مِنَ العبوديَّة والإسلام لِمَ لَمْ يُحرِّرهُ؟!..





جمعه وحققه المربي الأستاذ
عبد القادر يحيى الشهير بالديراني

فَضِيلَةُ العَلَّامَةِ الإِنسَانِيِّ الكَبِيرِ

محمّد أمين شيخو

قدّس الله سرّه

البحوث المجيدة

(٣)

الغرب حرّر الإنسان من العبوديّة والإسلام لم يحرِّره ؟!..

جمعه وحققه المربي الأستاذ

عبد القادر يحيى الشهير بالديراني

ابن محدث دمشق المرحوم الشيخ محمد الديراني

فهرس



مُقَدِّمَة

معهد الرق.. معهد الرحماء

أرسل الإلَه الرحيم بهذا العصر الحاضر العتيد العلاَّمة الكبير محمد أمين شيخو وأجرى على لسانه فيوض شروحات عظمى تجوز بك من ظلمة المادة وكثافتها إلى الأنوار الإلَهية البهية بلطفها ورقَّتها بمنطق عالٍ يتلألأ نقاوة وصفاء، فأرانا أسرارَ حِكَمٍ إنسانيةٍ سامية عن ذلك المعهدِ الراقي للرقِّ بالإسلام، والذي خرَّج من الرجال العِظام مَنْ لا تزال أسماؤهم إلى الآن تدوي في العالَم قاطبة؛ ويقف لذكراهم خاشعاً القاصي والداني أمثال الملك الظاهر محمود بيبرس قاهر قُوى الطغيان من التتر المتوحشين والصليبيين المستعمرين والملك قطز وسواهم.

معهد الرق:

ذلك المعهد الرقيق العالي الذي استطاع بما فيه من منهجٍ سامٍ ومُثُلٍ إنسانيةٍ عليا أن يفتح بطلابه "العبيد" العالَم ليُخرجوا الناس من الظلمات إلى النور كما تخرَّجوا هم أنفسُهم بالأمس أمثالَ قادةِ الجيشِ الانكشاري المظفَّر الأُوَلْ؛ الجيشُ الذي لم يُقهر بعهد السلاطين محمد الفاتح وسليم وسليمان.

إنه المعهد العالي الرفيع ذي التربية النفسية العليا والتهذيب الخُلقي العظيم الذي جعل المشركين بالأسر شعلة فكرٍ فإيمان حق، إذ يُقارن بين ماضي الضلال والشقاء إلى حاضرٍ تحوطه آيات الرحمة والرقة والوفاء والصدق والإخلاص والمعاملة الرحيمة الراقية لا ينغِّص أحدهم ولا ينقصه، بل لا يشوبه إلاَّ أن يتخذ قرار الإيمان ليغدو بموجبه سيداً كريماً لا ينتقصه عمَّن سبقه في المجتمع الإسلامي أحد إلاَّ في درجة اجتهاده وقربه من الله تعالى.

حقّاً لقد بدا هذا التشريع الإلّهي للرق رحمةً طالت أكثر الناس بعداً عن الله وأكثر الناس إعراضاً عنه تعالى وضلالاً.

بالإسـلام:

الرق للأسير رحمة مهداة.. الرقيق هدية الله للإنسان بمعاملته بالإنسانية يرقى ويغدو أنقى فأتقى، إذ يأخذ بيد أخيه بالإنسانية من عثار البقاء بالضلال والشقاء إلى مناهل السعادة ومرابع الجنان ومراتع المسرَّات بالنعيم المقيم، ذلك أن أعظم الأعمال وأحسن الإحسان هدايةَ إنسان وهذا ما يحبه المولى الكريم ويرضاه.

طوبى لمن بهذا الأنس والإنسانية بالرقِّ سار؛ فاستنار وأنار.. طوبى له وحسن مآب.

تقديم المربي الأستاذ

عبد القادر يحيى الشهير بالديراني

الــــرق فــــي الإســــلام

تُرى!. الإسلام وهو دين الإنسانية بأسمى معانيها وهو الذي لم يفرِّق بين عربي ولا أعجمي.. بين أبيض وأسود إلاَّ بالتقوى.. فمن كان أتقى كان أنقى فهو الأسمى والأرقى.. من كان أشد رحمة بخلْق الله وأكثرهم لهم نفعاً فهو الأعلى: هذا ميزان التفريق في دين الإسلام.

إذاً فما الحكمة الإنسانية المنطوية في قانون الرق في الإسلام؟!.

١. علمنا في أبحاث مضت الغاية الأساسية السامية من الزواج ألا وهي النهوض بالمرأة لسُبل الإيمان ومحبة الله وتقويمها على شريعته تعالى وصراطه المستقيم لتسعد في دنياها؛ وفي آخرتها لجنَّة ربها.

٢. علمنا أيضاً الحكمة الإنسانية السامية من تعدُّد الزوجات وشروطه (الزواج من الأرامل "أمهات الأيتام" من أجل حفظهن وتربية وسَاسة أيتامهن).

أما بالنسبة للجهاد فليست الغاية من الحرب الطمع بالمال، بل لإصلاح ذات البين. هؤلاء المشركون إخوتك لكنهم ضالُّون فلتكن غايتك إعادتهم للحق لا للكسب. طالما أن هؤلاء البشر إخوتك فواجبك إنقاذهم، هذه غاية الجهاد لا لعلة، خالص لوجه الله هذا هو الجهاد المقدَّس. كل الخلْق عباده فإن كنت مؤمناً حقّاً تحب الله فإنك تحب عباده أيضاً.. هو يحبُّهم

كما يحبك، فواجبك أن تخدمهم.. هذه هي الغاية العليا من الجهاد المقدَّس، فهي لا لعرض الكافر ولا لماله ولا لأرضه إنما لردِّه للحق وطريق الجنَّات، أي إنَّ الغاية هداية الكافر فهو أخو المؤمن في الإنسانية لكنه ضلَّ الطريق، ألا يقوِّمه أخوه المؤمن الراشد!. وكذا الرق فالغاية منه أن لا تخرج عن هذا المجال الإنساني الرفيع، فالله تعالى لا يريد لعباده أيّاً كانوا إلاَّ السعادة وذلك بالسيْر بالطريق الحق لكسب الحياة الأبدية.

أثناء الجهاد المقدَّس قد يقع أسرى بأيدي المسلمين، ولكن ولما كان الإسلام ليست له قوة ضاربة وذلك ببداية الدعوة فلم يسمح تعالى بالأسر فيده تعالى على الجميع هي المسيِّرة ولا يمكِّن تعالى المسلمين إلاَّ ممَّن لم يعد له طريق للرجعة والاهتداء.. فهذا أصبح موته خير من حياته التي لا تجلب له إلاَّ زيادة الخسارة الأبدية والأذى للإنسانية ثم زيادة نيرانه الجهنمية، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ..﴾: أي: إن لم تصبح لديه قوة قوية ضاربة ليس له أن يأسر، بل يقتل في المعركة. الأسر في الحرب يتمُّ بعد كسر شوكة الشرك، أما قبل ذلك فلا يجوز الأسر إطلاقاً وكان الصحابة بادئ ذي بدءٍ أقلَّةً ضعفاء الشكيمة وقد خطفوا بعض المشركين فأسروهم فنزل المنع.. (وهذا حصل في معركة بدر أولى معاركهم).

﴿..تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ..﴾[1] : أتريدون الفداء والدنيا والله يريد الآخرة لكم ولهم. والكلام موجَّه فقط لمن أَسَرَ من المسلمين الذين آمنوا فكرياً ولم يسلك اليقين لقلوبهم بعدُ، فقاموا بالأسر طمعاً بالفداء.

فبما أن غايته تعالى من الجهاد رد الكافر للحق، لهدايته، وبما أن الإسلام ببدايته لم تكن له بعد تلك القوة الضاربة المعروفة الظاهرة في العالم، لذا لم تلتفت إليه بعد أنظار الأقوام بالتقدير والتعظيم، إذ من طبيعة النفس أنها تقدِّر وتعظِّم من بيده حسبَ الظاهرِ القوة وتتبعها، لذلك لم يسمح تعالى ببداية الأمر بالأسر لأن هذا الأسير غير ناظر للإسلام بمنظار التقدير (كما سبق ذكره من أسباب)، بل العكس وبأسره وخطفه سينظر للإسلام عدا عن نظرته الأولى نظرة بغض وكراهية واحتقار بسبب خطفه أثناء الفرار، ويزداد قلبه إعراضاً عن الإسلام، أي عن الله تعالى ورسالته والله لا يريد بُعد عبده عنه، بل يريد له القرب.

إذاً فغرض الهداية لم يتحقَّق ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾[2].. بل حدث العكس ولم يبقَ من الأسر إلاَّ غرض دنيوي (دية، مال) وهذا ما لا يرضاه تعالى للإنسان المؤمن ولا تقاس قيمة الإنسان بالأمور المادية الزائلة العارضة فشأنه وإيمانه عند ربِّه عظيم، وليست هذه هي الغاية التي من أجلها أباح تعالى

---

[1] سورة الأنفال: الآية (٦٧).

[2] سورة الليل: الآية (١٢).

الجهاد، بل يريد لبني الإنسان كسب الجنان، دنيا وآخرة لا لعَرَضٍ زائل وحطام منقضٍ. ولكن لما قوي الإسلام وأصبح قوَّة ضاربة ظاهرة في العالم العربي التفتت الأنظار إليه بالتقدير: (الآن: يوم حنين) حيث أنكم صرتم أقوياء، "عندها قويت الدولة الإسلامية" سُمِحَ لهم بالأسر، أي بعد فتح مكة ونشوء الكيان الإسلامي الظاهر. قال تعالى: ﴿..فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ..﴾: بالأسْر ﴿..وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ..﴾: اربطوا عليهم الطرق، كل ذلك تخويف لعلَّهم يرجعون. ﴿..فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ..﴾: وهذه الغاية من محاربتهم وأسرهم وربط الطرق عليهم لعلَّهم يتوبون ويقيمون الصلاة... إن تابوا وصلُّوا وتحقَّقت الغاية السامية. ﴿..فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ..﴾[1]: وهذه الآية تبين بوضوح الغاية السامية من الأسر وقتال المشركين بشكل عام، هؤلاء الأسرى هم ما يُسمّون بالرقيق عند المؤمنين. جعل الله تعالى الأسير تحت رعاية إنسان مؤمن يستطيع إصلاحه وقياده للجنّة ومعاملته برقة معاملة إنسانية هادفة لإيمانه وخيره الدائم، وبذا تتحقَّق غاية الله في هدايته وكل ذلك من كمال عطفه تعالى ورحمته بخلْقه يحاول كل المحاولات من أجل هداية كل إنسان، وفي الحديث الشريف: «**لأن يهديَ الله على يديك رجلاً خيرٌ لك مما طلعت**

---

[1] سورة التوبة: الآية (٥).

عليه الشمس وغربت»[١]. وفي رواية: «**لأن يهديَ الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمُر النعم**».

قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيدِيكُمْ مِنَ الأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً﴾: أسروهم وأخذوا مالهم. ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ﴾: لا تحزن، إن رجعت للحق يُعطيك الله أكثر مما أُخذ منك إن آمنت حقّاً. ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾: يشفيكم، يشفيك نفسياً. ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: لهذا وهذا (للمؤمن والكافر)، المؤمن يرى بجهاده أنه قدَّم عملاً فيزداد إقبالاً على الله وتشفى نفسه مما بقي فيها من أدران وبالآخرة ينتقل بأعماله من جنة لأعلى، والكافر بأسره وسلب ماله وجعله عبداً رقيقاً كل ذلك علَّه يرجع للحق فيغفر الله له ويرحمه ويكسب آخرته وما أعدَّ الله له من جنَّات، ولذلك أمر تعالى رسوله أن يبلِّغ ما في أيديهم من أسرى. مدلول الآية الكريمة: ﴿إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً . .﴾. هذه الآيات وردت إثر وقعة حنيْن وقد هيمن وسيطر الإسلام والسلام على الجزيرة العربية كلها واليمن، فأباح الله تعالى للمؤمنين أسرهم لردِّهم لسعادتهم. فترتيبه تعالى كله خير وهو عليم بطريق اهتداء كل نفس فيسوق لها ما يسوق من علاجات علَّها تهتدي، وما وقوعهم بالأسْر إلاَّ إحدى طرق هدايتهم، قال تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ

---

[١] (طب، عن أبي رافع)، كنز العمال (ج١٠) ٢٨٨٠٢.

﴿قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ..﴾: بعد إطلاق سراحهم: الآن (أصبحوا أسرى). ﴿..وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1] : علاج كل امرئٍ على حسب حاله، كل إنسان يداويه بما يناسبه.

بعد أن غدا الإسلام يرفل بالقوة والمنعة وأهله بالإيمان والتقوى فإن هذا الأسير وقد أصبح عبداً عند الإنسان المؤمن وضع تعالى قانوناً لمعاملته علَّه يهتدي للحق. فكلمة (رقيق، المُطْلَقة على العبد) تتضمن معنى الرقة في معاملته، فيلبسه سيده تماماً مثلما يلبس ويُطعمه مما يأكل ويعامله بأفضل المعاملات الإنسانية إلاَّ أنه حينما يدلف مجالس الرجال أولي الشأن أصحاب الحلِّ والعقد مع سيده وقد ازدان بملابس كملابس سيده واكتسى حلة فخمة تدعو السادة الموجودين لينظروا إليه بمنظار الأسياد وبعين التقدير والاحترام فيشعر هذا "الأسير الرقيق" بنشوة العزة والكرامة والمهابة وقد حفَّت به وعادت تختال أمام ناظريه: الحرية والعزّة، هنالك يفاجئه سيده بما يصعقه ويطيش بصوابه، إذ يأمره أن "يا عبد أحضر لي كوب ماء" أمام كافة الموجودين فيخرج من الغرفة لتلبية الطلب بعد خفض قيمته بأعين الرجال وقد دارت الدنيا بعينيه ولفّه سخط وعنفوان.. غضب غطَّى ساحة وجوده فتثور كرامته وعزّة نفسه أن "ما الذي رفعه وخفَّضني".. هنالك تتحرَّك

---

[1] سورة الأنفال: الآية (٧٠-٧١).

دواليب فكره فتقول نفسه وحقاً ما تقول: "الحقيقة كل الحقيقة أن هؤلاء المؤمنين أشراف أصحاب عفَّةٍ عن الحرام ومروءة وإنسانية فهم ليسوا مثلنا.. لا يزنون ولا يشربون الخمر ولا يرابون ولا يمكرون ولا يكذِّبون، لا يقامرون ولا يداهنون، حقاً لقد عرفوا الحق وساروا بالحق وهدوا للحق بما شاهدوا من الحق.. ونحن لسنا مثلهم وما بلغوا ما بلغوا من الكمال إلاَّ بالإيمان فلِمَ لا أؤمن فأكن مثلهم، أو ربما يرفعني ربي لأعلى منهم فالمسألة بالاجتهاد.. هنالك تتم ولايته لله الحق فيسلك مسالك المؤمنين ويسير بركب الخير والاستقامة والنعيم المقيم.. من أجل ذلك فُرض الرق والأسر والعبودية لعبيدي شهوات أنفسهم كقارب نجاة لهم تنجيهم من بلاء الدنيا وعذاب الآخرة: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾[1].. وذلك حينما يرون تحابب المؤمنين وتوادهم وتباذلهم وتعاطفهم ومكارم أخلاقهم ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ..﴾[2].

عندها العبيد يغدون أحراراً لهم ما للمؤمنين وعليهم ما عليهم لا يُخفّضون أبداً ولا يُذلون، ولا ننسى دولة المماليك حين آمنوا كيف غَدَوا هم سادة المسلمين وقادتهم فلا فضل لأحدٍ على أحد إلاَّ بالإيمان والتقوى التي تملأ قلب المؤمن عطفاً وحناناً على الخلْق اشتقاقاً من الرحيم جلَّ ثناه.

---

(١) سورة الحجر: الآية (٢).

(٢) سورة التوبة: الآية (١١).

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ. . ﴾[1].

فالرق بالإسلام باب من أبواب الجنّة، باب من أبواب التوبة والرحمة، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قِبَلِهِ العذاب، وهو نوع من التربية الإنسانية الراقية والتهذيب النفسي والتقويم الأخلاقي ليؤمن.. والمؤمن أخو المؤمن لا يغدره ولا يخونه، بل يؤثره على نفسه ولو كان به خصاصة.

---

[1] سورة الأنفال: الآية (٣٨).

الـــرق فـــي الإســـلام

(ملك اليمين)

قد تبيَّن في البحث السابق الغاية من الأسْر، ومتى سمح به جلَّ وعلا وكيفية معاملة الرقيق (أي الأسرى العبيد) والحكمة السامية منها. والأمر نفسه بالنسبة للمملوكات "ملك اليمين" والزواج منهن أو "التسرِّي بهن".

بشكل عام لم يسمح تعالى بالزواج من غير المسلمات "الكتابيات" إلاَّ بعد أن حلَّ عصر القوة في الإسلام.

ففي بداية الدعوة الإسلامية عندما لم تكن الدولة الإسلامية بعد قد بلغت قوتها القوية ظاهرة بكيان دولة قوية ضاربة كان الحكم بالآية الكريمة (٢٢١) في سورة البقرة ساري المفعول: ﴿وَلاَ تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ . . ﴾: هذه تؤذيك في أولادك. كيف ذلك؟.

بما أن الدولة الإسلامية لم تكن بعد ظاهرة في الأرض بقوتها ولما يلتفت العالم إليها بالتقدير فتلك "المشركة" إن تزوجها المؤمن وهي بطبيعتها ملتفتة بالتقدير لقومها "الممثلين بدولتها" الأقوى، فهي غير مقدِّرة لزوجها ولا لدينه حقّاً لضعف دولته وهي باقية على دينها.. فإن جاء الأولاد (وهنا بيت القصيد)، فسوف يتَّبعون أخوالهم وقوم أمهم. وذلك للأسباب التالية:

- بسبب ميلهم وحبِّهم لها فهي أمهم.
- لن تحسن تربيتهم لأنها كانت قد تربَّت ونشأت على ديانة غير دين الإسلام القيم القويم، ويبقى لها ميل لدولتها الضاربة القوية. وحيث إن الكافرات عرضهن رخيص عندهن، وهذه آمنت ولكن كان لها ماضٍ كالكأس التي شُعرت ففيها ضعف، وأما الكأس التي هي متينة سليمة فلم يتسرَّب إليها الضعف.
- قوة قوم أمهم "المتمثلة بدولتها" الذين انحدرت منهم والتي ما تزال ظاهرة كقوة أقوى من كيان الدولة الإسلامية. ومن طبيعة النفس البشرية أنها تقدِّر الأقوى وتتَّجه له وتتبعه، وبذا يتَّبعون قوم أخوالهم ويتبعون دينهم سواءً شعروا بذلك أم لم يشعروا وهذا يقودهم للشرك وخسارة الحياة الأبدية، إلى النيران بدل الجنان، والله برحمته العظيمة لا يريد لبني الإنسان أياً كان هذا المصير المرعب المخيف، ولذا نهى في بداية نشوء الدولة الإسلامية الزواج من الكتابيات ومنع تزويج المشركين أيضاً من النساء المسلمات لنفس الأسباب ولما يرافق ذلك أيضاً من ضياع تلك المرأة المسلمة ووقوعها في الشِّرك، وذلك لرابطتها الزوجية بزوجها المشرك الملتفت لقومه ودينه وغير الناظر للإسلام ولله بالتقدير ولا هو بمتبعه، والمرأة تَبَع لزوجها.

أمَّا عندما قويت شوكة الدولة الإسلامية وأصبحت ظاهرة في الأرض عندها سمح تعالى للمؤمنين بالأسْر وباتخاذ الأسيرات (ملك اليمين) وبالزواج منهن بعد إيمانهن عند من تربَّيْن عندهنَّ من النساء المؤمنات. أما الآن فيعود حكم الآية الأولى القاضية بمنع الزواج من المشركات، حيث إن الإسلام ضعيف.

ومن بالغ رحمته وعطفه تعالى وعظيم عنايته من أحكامه أنه سمح بالأسْر فملك اليمين من إناث البلاد المفتوحة، جعلهن تحت رعاية مؤمنة وكلتاهما تحت رعاية زوجها المؤمن والأمر نفسه للمعاملة بالحسنى.. تلبس مثل لباس سيدتها وتأكل من مأكلها ولكن سيدتها تناديها بكلمة (يا عبدة)[1] وذلك عندما يكُنَّ جالسات وهناك عدد من السيِّدات وقد ظهرت تلك المملوكة تماماً باللباس والهندام مثل سيدتها في المجلس.. وأحسَّت أنها حرة عزيزة وبلحظة سماعها يا عبدة: اجلبي لي كذا... تنكسر نفسها ويعتريها الذل والأسى عسى أن تفكِّر ما الذي رفع سيدتها وسيدها عليها وخفَّضها وجعلها تحت رعايتها وفي خدمتها... فتدرك أن إيمان سيدتها لله واتِّباع رسوله هو الذي رفع شأنها وسيَّدها عليها، هنالك تطلب الإيمان بالله، تطلب من الله كي يرفع شأنها ويجعلها حرة كسيدتها.. فإن طلبت آمنت وإن آمنت فهي حرة لا عبدة

---

(1) **يا عبدة**: لأنها حقيقة لا تزال عبدة شهواتها ونزواتها وأهوائها وغرائزها العمياء المهلكة.

يتزوجها مؤمن من المؤمنين ولا فرق بينها وبين غيرها من المؤمنات إلاَّ بدرجة الإيمان. وبذا تكون قد تحقَّقت الغاية من الرق في ملك اليمين.

وقد أمر تعالى بمعاملتها في بيت سيدتها معاملة حسنة. قال تعالى:

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً..﴾: عاملهما بالإحسان. ﴿..وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ..﴾[1]: أيضاً عاملها بالإحسان. فلقد خصَّهن تعالى بالذكر في هذه الآية، فهي كابنتك هكذا تربيتها.. فما أرحمه تعالى ببني الإنسان وما أجلَّ حكمته وحرصه على هداية كل نفس فيما يسوق لها مما يلائمها ويجرُّها للهداية.

فهذه الأسيرة التي أصبحت مملوكة هذا هو طريق هدايتها والأخذ بيدها للإيمان بالله والنجاة من براثن الشيطان لإخراجها من الظلمات إلى النور ولنقلها من المصير في النيران إلى الجنان. وقد سنَّ تعالى معاملتها بالإحسان بما يتضمن ذلك من إصلاحها وتعليمها سُبُل الاستقامة والصلاح وكل ذلك بالمعاملة الرحيمة، لا بالإكراه. والآية الكريمة تقرِّر: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ..﴾[2].

كما سمح تعالى بالأسيرة التي هي ملك يمين المؤمن التقي وتحت رعاية زوجته بالتسرِّي بها وذلك إن رأى بما في قلبه من نور أن في ذلك خيراً لها بحالة عدم صبرها وأنها ستتعقَّد بلا زوج وتزداد كفراً.. فلوقايتها يتزوجها سيدها بلا مهر

---

[1] سورة النساء: الآية (٣٦).

[2] سورة البقرة: الآية (٢٥٦).

لأنه ليس هو طالبها أبداً فهو يجرُّها بذلك لمداخل الإيمان ومحبة الله.. وذلك برابطتها الزوجية به كي تتشرَّب الإيمان ومحبة أهل الإيمان، وكما بالمثل العامي "المهرة من خيَّالها"... وكذلك إن خاف عليها من الوقوع في الزنى أيضاً فيحق له التسري بها خدمةً لها، وإلاَّ فلا يجوز التسرِّي مطلقاً، بل يربِّيها التربية العالية ويزوِّجها إما بعبد أسير آمن أو بمؤمن طلبها للزواج كزوجة له.

كل ذلك فقط لحفظها وتقويمها... فالغاية من هذا التشريع الإلهي بالسماح بالأسر والرق غاية إنسانية سامية لا نفسانية شهوانية تذوقية: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۞ إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾[1].

وملخَّص القول: ملك اليمين من أُسرت في الحرب ليردها سيدها إلى الإيمان وكانوا يتسرُّون بهن خدمةً لهن لإنقاذهن من الضلال إلى الحق، وإخراجهنَّ من الظلمات إلى النور.

وكذا حرصاً على هداية المملوكة وحفظاً لها من براثن الشيطان (بالزنى) سمح بزواجها بمهر من غير سيدها من المؤمنين أو من عبد آمن ضمن شروط الآية: ﴿وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ﴾: من مات زوجها ومن لا رجال لهن. ﴿وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾: إن كانوا صالحين شرط: إذا كان عندك عبد أو جارية وآمن

---

(1) سورة المؤمنون: الآية (٥-٦).

زوّجه. ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾: يوسّع الله عليهم. ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾: فضله. ﴿عَلِيمٌ﴾: بما يقتضي حالها عندما تستحق يعطيها. ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ﴾: احذر الزنى. ﴿الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾: إن كان لا يجد مالاً فليستعفف. ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ﴾: عقداً على مملوكة. ﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: من الجواري التي ما آمنت بعد. ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً﴾: تعلم إن زوَّجْتَه إيَّاها أنه يوصلها للإيمان. ﴿وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾: إن وجدته أهلاً يستطيع أن يدلَّها على الله، برّها: أعطها شيئاً هذه مثل ابنتك. ﴿وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: الجارية لا تمنعها من الزواج لتخدمك وتقوم بتدبير منزلك. من أجل خدمتها لك تمنعها من الزواج فتقع في الزنى. ﴿وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ﴾: حتماً سيعاقبك على عملك السيء. ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1]: سيرسل لك شدائد رحمةً بك لعلَّك ترجع عن غيِّك وطغيانك.

إذاً يتبيَّن لنا من الآية الكريمة السابقة أن الأسيرة المملوكة إن آمنت يجب أن يزوجها، وإن لم تؤمن بعد وتقدَّم لها من يستطيع إيصالها للإيمان يزوِّجها أيضاً.. وكذا إن هي رغبت بالزواج فإما أن يتسرَّى بها (سيدها) في حالة عدم تقدُّم زوج يتزوجها وإما أن يزوجها ممَّن يستطيع إيصالها للإيمان ويحفظها

---

(1) سورة النور: الآية (٣٢-٣٣).

على دين الله، وإما أن يزوجها لأسير آمن ويعتقه وإياها الشرط: أن يكون عنده الإمكانية للنهوض بها وإصلاحها، بل ويساعدهما بالمال والسكن وما تتطلَّب حياتهما المادية من عوْن.

بقي أن نبيِّن ما في الآية الكريمة الواردة في سورة النساء (٢٥): ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾: ليس معه مال أن يتزوج محصنة مؤمنة. ﴿فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيمَانُكُمْ﴾: من السراري اللاتي هنَّ قد تربَّيْن عند مؤمنة. ﴿مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾: تربَّت عند النساء المؤمنات، أما إذا جاءت من الحرب رأساً لا يصح أن تكون زوجة، إنما هي ملك يمين. ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ﴾: الأمر متوقف على الإيمان. الإيمان يرفع شأن الإنسان، لذلك المؤمنة مهرها عالي، الكافرة عدم إيمانها حطَّ من قدرها، لذا مهرها أقل. ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾: في الأصل أنتم متماثلون متساوون، لكن الإيمان والكفر جعل التفريق. ﴿فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ. .﴾: اخطبها ممَّن يربونها.

وما من حكم من أحكامه تعالى ولا شريعة من شرائعه إلاَّ من ورائها غاية عظيمة تخطو بالإنسان نحو السعادة بالداريْن.

إعتاق العبد وتحريره إنما هو في الحقيقة تحرير نفسه من عبوديتها للنزوات الشيطانية وللشيطان وليست العبرة لتحرير الجسد فقط.

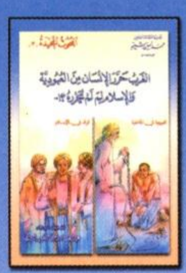
فما أكمل حنانه وعطفه تعالى ورحمته بخلْقه وما أعظم حبّه لهم، فكم يحاول ويحاول بكلِّ نفس بشرية على السواء.. سواء بالشرق أم بالغرب.. عربية أم أعجمية من أجل هدايتها.. وكم هو تعالى عظيم في حكمته يسوق لكلِّ نفس المناسب الذي يخطو بها نحو الهداية علَّها تفكِّر وتطلبه تعالى فإن طلبته فقد اهتدت لأنها حتماً إن طلبته بصدق وجدته إن كانت صادقةً بطلب الإيمان ونالت كل شيء به فلن تخسر دنياها ولا آخرتها، ولن تخافَ هضماً ولا ظلماً.

أما إن بقيت على إعراضها وإدبارها عن الإيمان فقد خسرت نفسها، ثم خسرت كل خير للأبد. وفي الحديث القدسي الشريف: «**ابن آدم اطلبني تجدني، فإن وجدتني وجدت كلَّ شيء، وإن فتُّك فاتك كلُّ شيء، وأنا أحب إليك من كلِّ شيء**».

وفي زبور سيدنا داوود عليه السلام: «**أنا المطلوب اطلبني تجدني، أنا المحبوب اطلبني تجدني؛ ولا تطلب سوايَ فلا تجدني**».

والحمد لله ربِّ العالمين

الغرب حرر الإنسان من العبودية
والإسلام شرع تجارة !؟



الرق في الإسلام

عفا الزمن على حقائق انطمست بغبار زَيْفِ بُعد الناس عن هدي رسل ربِّها بكتاب الله الكـــريم «القرآن»

فاليوم يتبرأ الحق من تلك الاختلافات التي خطَّتها أيدٍ أثيمة تلقَّاها من تلقَّاها دون إيفائها حقها مـن البحث و التمحيص العلمي الصحيح .

وهناك مفهوم الغرب السائد نحو الرق في الإسلام، والحقيقة أن الإسلام بالإيمان فالتقوى دين المـودة والمحبة السامية ، والإسلام دين الإنسانية حيث لافرق لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسـود إلا بالتقوى .

فلولا هول المآل والنيران الشديدة والأهوال ورحمة منه تعالى لما ولَّى عباده المؤمنين الرحماء على عباده الضَّالِّين ،لِيُكَبِّل شذوذهـم ويخفِّف شرورهـم حاصراً وجهتهم للسير للحـق والسعادة الكبرى الدائمية بمعية الأحرار الذين غدوا بالإيمان أحراراً فعجباً لقومٍ يساقون و يقادون إلى الجنة بالسلاسل.

الناشر

